Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١

هذه الدراسة النقدية تحاول استكشاف جانب أساسى من الشعر ، لعله أهم أركان التركيب ، ونعنى : الصورة الفنية ومكانها فى البناء الشعرى . إن واحداً من الأسئلة القليلة التى أحتفظ بها منذ بواكير الوعى دون جواب شاف هو : ما الشعر؟ ماكنه تلك الخاصية « السحرية » التى تفجر فى كلام معين قدرة على التأثير والتجاوز ليست لكلام آخر قد يكون أكثر منه جدية أو التزاما بأصول التعبير؟ ومن ثم : لماذا يتجاوز الشعر – ونعنى الشعر الأصيل بالطبع – أية محاولة لشرحه وتحليله ، فضلا عن إعادة تركيبه بعبارات نثرية مهما تحاول الحفاظ على المعنى ؟

ربما كانت البداية الغامضة للقلق حول هذا السؤال المعلق ترجع إلى طريقة تدريس الشعر فى مدارسنا ، وربما بعض جامعاتنا أيضا . كان ذلك على زمنى ، وأحسبه مستمرًّا ، فقد كان المعلم يتناول القصيدة أبياتاً مفردة ، أو مقاطع حسب امتداد المعنى الجزئى ، وينثرها بمرادفات لألفاظ الشاعر أقل غموضا أو أكثر انتشارا أو تحديدا وتجريدا ، مقدما لهذا العمل الآلى بعبارة لا تكاد تتغير : « يريد الشاعر أن يقول . . » لابد أن يعمل مثل هذا الاستهلال المتكرر إلى درجة الملل عمله فى قتل حيوية الطالب وتشتيت إحساسه بالشعر وتذوقه لألوان الجمال الصادر من منابع شتى تتدفق فى سياق واحد . وهذه الطريقة السائدة تعتصر التكوين الشعرى الشامل لتستخرج منه المعنى ، على ما يظنه المعتصر. وهذا المسلك يشبه – فى رأيى – من يعتصر الزهرة ليستخرج منها عصارتها التى سيكتشف بعد أن أتلفها كم هى مرة ، وبعيدة عن الإيحاء بالجمال النابض حتى وإن تكن – فى يد الصناع الماهر وحده – أشد كثافة ونفاذا إلى مناطق الفكر . إننى أعتبر هذا العمل الذى يؤدية المعلمون التقليديون ببراءة وتلقائية مسئولاً عن التناقض الزائف الذى يقوم فى كثير من الأذهان بين الشعر والعلم ، فإن تقديم الشعر إلى القارئ أو الطالب باعتصاره إلى خلاصات فكرية يريد الشاعر أن يقولها من شأنه أن يخلق مواجهة لا أساس لها من منطق الفن أو العلم ، بين أسلوبين فى تقديم الفكر ، أسلوب يحاور ويداور ليقول عبارة فكرية قد تكون ساذجة ، ومع هذا يتولى « الناقد » استخلاصها نيابة عن